عائشة راتب

عطاء بلا حدود

لم يكن تفوق الأستاذة الدكتورة عائشة راتب وتميزها آتيا من قبيل الصدفة، وإنما هو حلقات متصلة من المثابرة والدأب والإخلاص والصدق، مع القناعات التي تؤمن بها وتنفذها. وتلك القناعات تتمثل في تأسيس شخصية متميزة قوية، تسهم في رقي بلدها، وتكون علامة مضيئة لوطنها ورمزاً هادياً لبنات جنسها.

في عام ١٩٤٥م حصلت عائشة راتب على شهادة التوجيهية وكان ترتيبها السادس على القطر المصري، ثم حصلت على ليسانس حقوق جامعة القاهرة عام ١٩٤٩م بتقدير جيد جداً مع مرتبة الشرف، وواصلت دراستها بحصولها على دبلوم القانون العام ١٩٥٠م ودبلوم القانون الخاص١٩٥١م. بعد تخرجها قدمت أوراقها إلى مجلس الدولة للتعيين به، ولكنه رفض تعيينها وذلك لكونها امرأة... لم تستسلم عائشة ولم تيأس ورفضت الاستسلام لهذا القرار المتعنت ورفعت دعوي قضائية، ولكنها لم توفق فيها، وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على أنها شخصية مكافحة تتمسك بحقوقها ولا تتخلي عنها، فهي الأولي على أفراد دفعتها، ولعل هذا كان من حسن حظ الجامعة، فقد عينت معيدة في قسم القانون الدولي وتدرجت في الوظائف الجامعية، بعد رجوعها من فرنسا حيث أبتعثت لتحضير رسالة دكتوراه عن "الفرد والقانون

الدولي"، بكلية الحقوق جامعة باريس عام ١٩٥٥م، حيث تم تعيينها مدرساً بحقوق القاهرة ثم أستاذًا مساعداً فرئيساً لقسم القانون الدولي العام.

ومن حسن حظي أن التقيت وعملت مع هذه الشخصية الراقية والإنسانة المتميزة، فمنذ عودتي من بعثتي الدراسية وتعييني مدرساً في قسم القانون الدولي سعدت بمزاملتها طوال سنوات عديدة، تحت رئاسة الأستاذ القدير والعالم الجليل الأستاذ الدكتور حامد سلطان الذي كان يشملنا برعايته العلمية والإنسانية.

أما الأستاذة الدكتورة عائشة راتب فكانت على قدر كبير من اتساع الرؤية وتقبل الآخر والإحساس بمن حولها، فكانت الأم والأخت التي تستوعب جميع من تتعامل معهم، تعطي علماً وإنسانية وسلوكاً راقياً متحضراً، فكانت الأيقونة المتميزة التي خلقت روحاً شفافة من الألفة .كان ثلاثتنا : أستاذنا وهي وأنا في قسم القانون الدولي العام بمثابة النموذج الذي يحتذي به الآخرون من الأقسام الأخرى في الكلية.

وعلى المستوى العلمي فقد كان لها عطاء علمي متميز، فأهدت المكتبة الحقوقية والسياسية مؤلفات عدة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

- مذكرات في المنظمات الدولية.
- التنظيم الدبلوماسي والقنصلي.
- الحصانة القضائية للمبعوثين.
- العلاقات الدولية.
- دراسات حول قضية العقبة ومضيق تيران.
- درس النكسة.
- العلاقات الدولية العربية.

- النظرية المعاصرة للحياد.

- ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

وقد تميزت كتاباتها العلمية بالموضوعية والتجرد والعمق، وأضافت للمكتبة العربية مؤلفات وبحوث لا يستغني عنها باحث في القانون الدولي، بل لقد أسست مدرسة من الباحثين الجادين من خلال إشرافها على عديد من الرسائل العلمية.

إن الشخصية الثرية لا تكتفي بالنجاح في جانب واحد من جوانب الحياة وإنما تنجح في كل مجال تعمل فيه، فاختيرت الأستاذة الدكتورة عائشة راتب وزيرة للشئون الاجتماعية في نوفمبر عام ١٩٧١م ثم أضيفت إليها وزارة التأمينات الاجتماعية، وفيها قدمت أستاذتنا الفاضلة أداءً منقطع النظير، وخصوصاٍ أن هذه الوزارة تحولت وزارة حرب ١٩٧٣م، مما أهلها إلى الحصول على وشاح النيل، تقديراً لأداء الوزارة أثناء الحرب، كما حصلت الوزيرة الدكتورة عائشة راتب على وسام الجمهورية من الطبقة الأولي.

إضافة إلى ذلك فلم يكن عطاء الدكتورة عائشة راتب عطاء علمياً متميزاً فقط، وإنما عطاء إنسانيا، فقد كانت حريصة كل الحرص على إعداد المشروعات التي تحث على العدالة الاجتماعية ورعاية الفقراء والأحداث ومحدودي الدخل والدفاع عن حقوق المرأة والطفل وأصحاب الضمان الاجتماعي وأصحاب المعاشات والتأمينات.

عادت إلى بيتها الأول الجامعة عام ١٩٧٧م، وبعد عامين عينت سفيراً لمصر في الدنمارك عام ١٩٧٩م، ثم سفيراً بألمانيا الاتحادية عام ١٩٨١م، فكانت النموذج المشرف للدبلوماسية المصرية، وقامت بتفعيل العلاقات وتوطيدها في تلك الفترة التي قضتها في الدولتين.

أما عن دورها في الجمعية المصرية للقانون الدولي فقد كان دوراً فاعلاً، فعلي مر حياتها كانت تسهم في أنشطتها وفعاليتها، فمنذ كانت معيدة وهي تشارك مشاركة فاعلة ونشرت عشرات الأبحاث والدراسات التي أثرت عطاء هذه الجمعية، كما أثرت المجلة السنوية التي تصدرها .ولقد رشحت الجمعية المصرية للقانون الدولي الأستاذة الدكتورة عائشة

راتب بإجماع أعضائها لنيل جائزة النيل وكان عام ٢٠١٣م، وذلك تقديراً لإسهاماتها البارزة في القانون الدولي، وارتياد آفاق جديدة لم يسبقها إليها أحد في فقه القانون الدولي.

في ختام كلمتي أوجز عطاء هذه السيدة الفاضلة التي كانت نموذجاً راقياً في كل مجالات عملها: فهي سيدة لديها إصرار كبير... تؤمن بالعلم تحترم العلماء... شخصية عامة متميزة، سواء أثناء عملها وزيرة أو سفيرة لمصر في الخارج... وهو عطاء استمر على مدي أكثر من خمسين عاماً. ورغم كل هذه الأعباء الأكاديمية والإدارية فقد كان لها عطاؤها في العمل العام والعمل الخيري.

ما أحوجنا الآن إلى تعريف أجيالنا الحاضرة بنماذج مضيئة في تاريخنا، علها تكون نقطة الضوء التي تنير طريقهم، نحو بناء وطن عظيم ننتسب إليه جميعاً.

القاهرة في ٢٠١٥/٣/٣

د. مفيد شهاب

رئيس الجمعية المصرية للقانون الدولي